الأنثروبولوجيا الأفريقية ما بين التعدد الاثني والفيدرالية: حالة نيجيريا نموذجا

د. حورية مصطفى أحمد (*)

• **مُلخص:**

تعد إفريقيا من أكثر القارات التي تشهد التعدد الإثني، الأمر الذي ترتب عليه العديد من الصراعات التي باتت تهدد أمن المجتمع واستقراره. وتعد الأنثروبولوجيا أحد العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تولي قدرًا من الاهتمام بملاحظة هذا التنوع العرقي من خلال نهجها الإثنوجرافي القائم على المعايشة والتفاعل في الحياة اليومية المولدة للعرق والتمايز. وتعد نيجيريا من أكثر الدول الأفريقية التي تشهد التنوع الإثني، فالمجتمع النيجيري مجتمع قبلي فى الأساس يوجد به أكثر من ٢٥٠ مجموعة إثنية و٥٠٠ لغة محلية.

وفي ضوء ما سبق، جاء الهدف من الدراسة الراهنة متمثلاً في إلقاء الضوء على التعدد والتنوع الإثني فى القارة الأفريقية، وإبراز الدور الذي تساهم به الأنثروبولوجيا فى فهم قضايا العرق والتعدد الإثني. حيث بإمكان الأنثروبولوجيا أن تقدم بدراستها للواقع التقليدي الإفريقي وهو واقع الإثنيات والعرقية مادة ثرية للباحثين فى أزمات بناء الدولة والاندماج الوطني فى افريقيا. وسوف تطرق الدراسة للإشارة إلى حالة نيجيريا كنموذج للتعدد الإثني والتقسيم القبلي وأزمة الفيدرالية.

الكلمات المفتاحية: الإثنية؛ الفيدرالية؛ الأنثروبولوجيا؛ نيجيريا، إفريقيا.

(*) مدرس الأنثروبولوجيا الثقافية. كلية الدراسات الأفريقية العليا. جامعة القاهرة.

African anthropology between ethnic pluralism and federalism: the case of Nigeria as an example

Dr. Horya Moustafa Ahmed

- **Abstract**

Africa is one of the continents with the most ethnic diversity, which has resulted in many conflicts that threatened the security and stability of society. Anthropology is one of the social and human sciences that is concerned with observing this ethnic diversity through its ethnographic approach based on coexistence and interaction in daily life that generates race and differentiation. Nigeria is one of the most ethnically diverse African countries. Nigerian society is essentially a tribal society, with more than 250 ethnic groups and 500 local languages.

Therefore, the current study aimed to shed light on ethnic pluralism and diversity on the African continent, and to highlight the role that anthropology contributes to understanding issues of race and ethnic diversity. Through its study of the African traditional reality, which is the reality of ethnicities and races, anthropology can provide rich material for researchers in the crises of state building and national integration in Africa. The study will point out the case of Nigeria as a model of ethnic diversity, tribal division, and the crisis of federalism.

Keywords: Ethnicity; Federalism; anthropologist; Nigeria, Africa.

- **مقدمة:**

تعد أفريقيا قارة التعدد والتنوع. والتنوع الأفريقي يشمل تنوع اللغات اذ تمتلك أفريقيا نحو ٣٣% من جملة لغات العالم الحية رغم أن سكانها لا يتجاوز نسبة عشرة بالمائة من جملة سكان العالم. كذلك تضم أفريقيا كافة الاديان السماوية الاسلام والمسيحية واليهودية إضافة إلى الأديان التقليدية. إن التعدد والتنوع والاختلاف ظاهرة لا تمثل فى حد ذاتها مشكلة ولكن تظهر المشكلة حينما يؤدى هذا التعدد والاختلاف الى أثار سلبية تهدد أمن المجتمع واستقراره. مثل هذا التعدد أدى إلى حروب أهلية طاحنة كما هو الحال بالنسبة لأزمة بيافرا فى نيجيريا وأعمال التمرد التي شهدتها كثير من دول أفريقيا مثل رواند وبوروندي.

والأنثروبولوجيا من أهم العلوم الانسانية المهتمة بملاحظة هذا التنوع العرقي بل أنه يمثل مادتها الثرية ولذا حظيت مصطلحات مثل العرق والاثنيات والقبيلة والعشيرة والصراع الذي أساسه العرق باهتمام باحثي الانثروبولوجيا. فالعرق والتمايز يتولدان من خلال التفاعل فى الحياة اليومية، والأنثروبولوجيا تعتمد فى دراستها على ملاحظة الواقع اليومي المعاش من خلال منهجها فى الاثنوجرافية الذي يقوم على الوصف للمشاهدات الميدانية المباشرة لذا فالأنثروبولوجيا من خير من يفهم الواقع الأفريقي القائم على القبلية والتعدد الاثني. ولكن الانثروبولوجيا لا يجب أن تقف عند هذا الحد اذ يجب أن تعي أن ثمة واقعا متغيرا فى القارة الافريقية منذ حصول كثير من الدول الأفريقية على استقلالها وسعى الانظمة الحاكمة نحو بناء الامة وتحقيق الاندماج الوطني.

ولقد حظيت الدولة الوطنية الناشئة فى أفريقيا باهتمام ومناقشات واسعة فمحاكاة النموذج الغربي وإسقاطه على الدولة الأفريقية لقى صعوبة نظرا للتركيبة السياسية والاجتماعية والثقافية الافريقية. فالعوامل الاجتماعية والثقافية لعبت دورا مهما فى توجيه السلوكيات السياسية الخاضعة للأسس الأثنية فى التحكم فى مسار التفاعلات السياسية وهو ما يؤدى إلى صراع سياسي على السلطة وخدمة جماعة على حساب أخرى. فكل هذه التنوعات والانقسامات تقف حاجزا أمام النخب الحاكمة وخلق أزمات فى القارة تتعلق بالهوية والاندماج فى ظل التنوع الاثني مثال ذلك الاقلية التي تحاول

التعبير عن رغباتها فى المساواة والمشاركة السياسية من خلال الثورات والاحتجاجات والحروب والانتفاضات وهو ما ينعكس سلبا على حالة الاستقرار وبنية الدولة ككل.

والانثروبولوجيا عليها أن تعي هذا الواقع الناشئ للقارة الافريقية وعليها أن تطور من مفاهيمها فلا تقف عند حد العرق والاثنيات بل يجب أن تعي مصطلحات جديدة نابعة من الواقع الأفريقي الجديد مثل مصطلح الفيدرالية أو الاتحادية والاقليمية وعليها وهي تقدم أطروحاتها عن التعدد الاثني فى القارة كأساس لفهم مشكلات الاندماج الوطني أن تراعى مثل هذه المصطلحات وأن تدرجها ضمن موسوعتها المفاهيمية التي تنطلق منها دراستها وبحوثها.

والبحث الحالي يحاول أن يفهم مشكلة الفيدرالية فى نيجيريا من خلال فهم التعدد الاثني باعتباره اساس لازمة الاندماج الوطني فيها.

أولا: أهداف البحث:

١- القاء الضوء على دور الأنثروبولوجيا فى فهم العرق والتعدد الاثني كأساس لفهم الواقع الأفريقي.

٢- أن الأنثروبولوجيا تستطيع أن تقدم بدراستها للواقع التقليدي الإفريقي وهو واقع الإثنيات والعرقية مادة ثرية للباحثين فى أزمات بناء الدولة والاندماج الوطني فى افريقيا.

٣- فهم التعدد والتنوع فى القارة الأفريقية

٤- دراسة حالة نيجيريا كنموذج على التعدد الاثني والتقسيم القبلي وأزمة الفيدرالية.

ثانيا: تساؤلات البحث:

١- ماهي مساهمات الأنثروبولوجيا فى دراسة العرق؟

٢- ما هو التعدد الاثني فى افريقيا عامة ونيجيريا خاصة؟

٣- هل نجح النظام الفيدرالي فى نيجيريا؟

٤- الى أي مدى شكل التعدد الاثني ازمة فى خلخلة النظام الاتحادي فى نيجيريا؟

ثالثا: مفاهيم البحث:

(١) الأثنية ethnicity: معناها شعب أو قبيلة وهو من المصطلحات التي تطورت على أيدي الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع. ويرى أنطوني سميث أن الأثنية هي المعبر الأساسي عن الهوية حيث تستند إلى ستة عناصر أساسية وهي: الاسم، التاريخ، الثقافة، الإقليم والتضامن بين الأفراد.

وكلمة ethnicity مشتقة من كلمة ethnoبمعنى العرق وكلمة ethnosاليونانية يقصد بها الشعوب وقد تطور المصطلح تطورا كبيرا فى القرن العشرين. (أبو العينين، ٢٠٠٠)

والأثنية عموما عبارة عن جماعة بشرية تربطها صفات مشتركة تحدد هويتها كاللغة والدين والتقاليد، هذه الصفات تميزها عن غيرها من الجماعات البشرية. (خلفون، ٢٠١٧)

والاثنية: فكرة مشابهة للعرق فى ربطها بالخصائص البيولوجية وغالبا ما تتميز الاثنية من خلال سمات ثقافية مثل الزي واللغة والدين والتنظيم الاجتماعي.

والجماعة الأثنية: هي تجمع بشرى يترابط أعضاؤه فيما بينهم من خلال روابط مشتركة كوحده الأصل أو القومية أو الثقافة. (قولى، ٢٠٢٠)

والأثنية: هي السمة الطبيعية التي تتسم بها جماعة ما ازاء غيرها داخل المجتمع الواحد وهذه السمة هي اللغة او الثقافة او الدين. وكلمة ethnicity عبارة عن جماعة عرقية تشير إلى تجمع بشرى يشترك أفراده فى بعض المقومات الفيزيقية " وحدة الأصل " أو الثقافة كوحدة اللغة أو الدين أو التاريخ، أو غيرها من المقومات الثقافية.(مخلوف، ٢٠٢١)

(٢) العرق: هو مجموعة من الكيانات الاجتماعية الثقافية المتواجدة فى نفس المدينة أو البلد أو المنطقة الاقتصادية، ويعتبرون أنفسهم مختلفون بيولوجيا وثقافيا وحتى لغويا، وغالبا ما ينظرون إلى بعضهم البعض من الناحية الفعلية أعداء. (خير الدين، ٢٠٢٠)

(٣) الجماعة العرقية: جماعة من الناس تعيش فى مجتمع ما اشمل، وتعتقد الجماعة بوجود روابط مشتركة تربط أفرادها بعضهم ببعض وتتمثل هذه الروابط فى الاعتقاد بانحدارهم من أصل مشترك، فضلا عن اشتراكهم فى خصائص ثقافي مشتركة كاللغة أو الذين او الثقافة. (أبو العينين، ٢٠٠٠)

(٤) الفيدرالية: مصطلح مشتق من كلمة ذات أصل لاتيني foedus وتعنى المعاهدة أو الاتفاق وهي نوع من الاتفاق المبنى على الثقة المتبادلة بين الأطراف. **والفيدرالية** نظام سياسي يقوم على بناء علاقات تكامل محل علاقات تبعية بين مقاطعات أو اثنيات أو قوميات داخل دولة أو عدة دول يربطها اتحاد مركزي. على أن يكون هذا الاتحاد مبنيا على أساس الاعتراف بوجود حكومة مركزية لكل الدول الاتحادية وحكومة ذاتية للولايات أو المقاطعات التي تنقسم إليها الدولة. والدول الفيدرالية هي دول معقدة القوميات تحتاج الجماعات القومية فيها إلى المزيد من الاعتراف بها والمزيد من الحكم الذاتي لها: ومن أكبر الدول الفيدرالية فى العالم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والبرازيل والمانيا والهند وبالنسبة لأفريقيا يوجد ثلاث دول تصنف على أنها فيدرالية وهي نيجيريا، وجنوب أفريقيا واثيوبيا والسودان والصومال وجزر القمر (شايب بشير، ٢٠١١)

والفيدرالية فى اللغة تعنى اتحاد وهي شكل من اشكال الحكم تكون السلطات فيه مقسمة دستوريا بين حكومة مركزية ووحدات حكومية أصغر. (هابة، خديجة، ٢٠٢١)

والفيدرالية يقصد بها " توزيع السلطات عن طريق تقسيم الحيز الإقليمي الى ولايات او مقاطعات قد تكون متوافقة او غير متوافقة مع الانقسامات العرقية. وكل ولاية يصبح لها قدر متماثل من السلطة. وتكون الفيدرالية اداة فعالة لتنظيم وضبط الصراعات العرقية." لكن برغم نجاح الفيدرالية فى بلجيكا وسويسرا وكندا الا انها فشلت وانهارت فى دول كثيرة من اسيا وافريقيا.

والفيدرالية التي تعتبر أحد أشكال الأقليمية المركزية، الفيدرالية تختلف عن الأشكال الأخرى فى أن السلطات الممنوحة للولايات والأقاليم تتم بواسطة الدستور وليس

بتفويض من المركز يمكن سحبه كما فى حالة المركزية، او معاهدة يمكن نقضها كما فى الحالة الاخرى. هذه الفيدرالية تلعب دورا فى تقليل الصراع العرقي فى المركز السياسي بسبب تحويل السلطة من المركز الى الاقاليم. (أبو العينين، ٢٠٠٠)

والدولة الفيدرالية أو الاتحادية هي كيان سياسي يتمتع باتحاد مقاطعات ذاتية الحكم جزئيا أو ولايات أو غيرها من المناطق تحت مظلة حكومة مركزية فيدرالية (ar.m.wikikpedia.org)

رابعًا: محاور البحث الرئيسية:

- المحور الاول: الأنثروبولوجيا ودراسة العرق:

أعطى ماكس فيبر " العرق الكثير من الاهتمام. وهو يرى أن عرقية المجموعة تقوم على الإيمان بالنسب المشترك الذي يتقاسمه اعضائها، والذي يمتد إلى ما بعد القرابة والتضامن السياسي والعادات واللغة والدين المشترك والقيم والأخلاق والآداب.

ويرى فيبر أن الاعتقاد والاصل المشترك من المحتمل ان يكون نتيجة العمل السياسي الجماعي وليس سببه، حيث يأتي الناس ليروا أنفسهم ينتمون إلى خلفية مشتركة كنتيجة لذلك العمل معا. اذ يتم تشجيع الهوية العرقية من خلال العمل الجماعي. وهذا الشكل الاثني للمجتمع هو شكل من أشكال الاغلاق الاجتماعي الاحتكاري. ويمكن لأي سمة ثقافية مشتركة أن توفر اساسا للانغلاق العرقي، فاللغة المشتركة والطقوس متورطة فى العرق.

وأكد فيبر فعالية العمل الاجتماعي وخاصة فعالية العمل السياسي، حيث أن جانب من العمل الجماعي يلهم الايمان بالإثنية المشتركة. ويذكر ماكس فيبر أن المجموعة العرقية تعتمد على الاعتقاد فى النسب المشترك بين اعضائها بسبب أوجه التشابه أو النوع المادي أو العادات أو كليهما أو بسبب ذكريات الاستعمار او الهجرة.

ومن المهتمين بالعرقية ايضا عالم الأنثروبولوجيا النرويجي فريدريك بارث والذي ركز فى دراسته للعرق على الخصائص الثقافية للمجموعات العرقية خاصة على

علاقات التمايز الثقافي وبالتحديد عن الاتصال بين الجماعات المتمايزة. وذكر ان الاختلاف الثقافي فى حد ذاته لا يخلق جماعة عرقية فالاختلاف الثقافي بين مجموعتين ليس السمة الحاسمة للعرق. ففي الواقع العرق هو فى الاساس جانب من جوانب العلاقة. شرح بارث العرق من الخارج الى الداخل على اساس انه ليس حيازة للثقافة والخصائص التي تجعل الفئات الاجتماعية متمايزة ولكنها بالأحرى هي التفاعل الاجتماعي معها ومع المجموعات الأخرى التي تجعل هذا الاختلاف ممكنا ومرئيا وذو مغزى اجتماعي. حيث من الأفضل فهم الثقافة المشتركة فى هذا النموذج على أنها متولدة فى العمليات الأثنية وصيانة الحدود وليس العكس فى الإنتاج والتكاثر والاختلاف مقابل الاخرين الخارجيين وهو ما يخلق صورة التشابه داخليا مقابل بعضها البعض (www.elarabi.com)

- المحور الثاني: التعدد والتنوع فى أفريقيا وأثره فى بناء الدولة:

يمتاز المجتمع الإفريقي بالتنوعات الاجتماعية والثقافية، الدينية والتاريخية فيمكن القول ان هناك تعدد لغوى، أثني وديني. أما **التعدد اللغوي** فى أفريقيا، فنجد أنه إذا كان عدد اللغات فى العالم يصل الى نحو ستة الاف لغة فإن نصيب أفريقيا من هذه اللغات يبلغ حوالي من ١٥٠٠-٢٠٠٠ لغة بما يمثل نحو ثلث لغات العالم وتعتمد ستة وأربعون دولة أفريقية على لغات أجنبية منها الفرنسية فى احدى وعشرون دولة والانجليزية فى تسع عشرة دولة والبرتغالية فى خمس دول والإسبانية فى دولة واحدة. وتنقسم اللغات الأفريقية إلى فصائل لغوية كبرى هي النيجر كونغو الأفروأسيوية والنيلية الصحراوية والخواسان. وأما **التعدد الاثني فى** أفريقيا فهو أبرز مظاهر التنوع الثقافي فى القارة حيث يصل متوسط التعدد الاثني فى أفريقيا نحو٥٣,٥ أثنية لكل دولة. تنقسم المجموعات البشرية فى أفريقيا الى الساميين فى شمال أفريقيا، الحاميين فى الصومال وأثيوبيا وبعض مناطق شمال أفريقيا، الزنوج وينقسمون إلى البانتو والزنوج فى غرب افريقيا، النيليين، النيليين الحاميين والبوشمن والهتنتوت.

أما عن التعدد الديني فى أفريقيا فالقارة مليئة بالتنوع الديني والعقدي ففيها المسيحية والاسلام واليهودية والديانات التقليدية التي تتعدد بتعدد الاثنيات. تتوزع الأديان التقليدية فى أفريقيا جنوب الصحراء بين ثلاث وأربعون دولة ويقدر عدد ممارسيها ما بين ٧٠ إلى ١٠٠مليون نسمة. ويتمتع الكهنة والسحرة والمشعوذون والاطباء التقليديون بمكانة مقدسة فى المجتمع الافريقي.

ان هذا التنوع الثقافي واللغوي والديني فى افريقيا رغم أنه من الثراء الثقافي الا انه وبسبب الظروف السياسية والاقتصادية والمجتمعية وخاصة الاستعمار الذي عانت من ويلاته القارة لسنوات، كان مجالا للانقسامات وخلق الازمات المتعلقة بالهوية والاندماج الذي تم استغلاله فى عهد الاستعمار وحتى بعد الاستقلال لتغذية الصراعات، بسبب هيمنة جماعة ما بإثنيتها ودينها ولغتها على الدولة وايقاع باقي الفئات تحت طائلة التهميش. هذا الاقصاء المجتمعي وغياب المساواة بين فئات الدولة خلق مجالا للاحتجاجات والثورات والحروب (www. Pharostudies.com)

فلقد انعقدت الآمال عقب استقلال الدول الافريقية على اقامة الدول القومية بها " الدولة، الامة " لكن هذه الآمال تراجعت الى حد أدني لها وراحت بدلا من السعي لبناء الامة تنحصر فى السعي لبناء الدولة عقب ما يزيد على ربع قرن من حركة الاستقلال الأفريقي ومن الصعوبة بمكان وصف الدول الافريقية بكونها دولا ذلك ان اقاليم هذه الدول ليست محددة المعالم اللهم الا على الخرائط، ثم ان شعوبها لا يتوافر لديها ذلك القذر من التناسق الذي يسمح بإطلاق شعب عليها. (نصر الذين، ١٩٩٧)

إذا، لفهم الواقع الأفريقي فعلينا نزع سمة التجانس عن افريقيا وأننا لا نتحدث عن نمط واحد أو بناء ثقافي اجتماعي ثابت. لذا فإذا كنا بصدد الكلام عن الدولة فى أفريقيا فأغلب الدول الأفريقية عبارة عن كيان سطحي أي مجموعة مفككة من المجتمعات العرقية جرى توحيدها فى كيان واحد وبعض الدول تضم المئات من العرقيات ففي جنوب السودان مثلا توجد العديد من الجماعات الاثنية المتمايزة فى الاصول والمعتقدات فهناك الدنكا وجماعة الشلك والنوير والزاندى وفى نيجيريا على نحو ما سنرى فيها الايبو واليوربا والهوسا فولاني. ان هذا التعدد ادى الى مشكلة فى

النظام السياسي فى هذه الدول الإفريقية من خلال علو الولاءات الفرعية على حساب الولاء الوطني وهو ما يفسح المجال أمام تفاقم الصراع بين الجماعات المختلفة وبين هذه الجماعات والنظام السياسي. لقد كانت الحرب بين القبائل هي الوسيلة الاساسية التي كانت تحل بها هذه المجتمعات الانقسامية مشاكلها وكان ايفانز بريتشارد يرى ان لا يمكن أن تقوم بين القبائل إلا الحروب.

وحينما خرج الاستعمار من الدول الافريقية فقد تركها ولم يكن هناك أي برلمانات انتخابية تمثل الشعوب وكانت غالبية الشعوب الافريقية فى هذه الحقبة عبارة عن قبائل مختلفة كما أذت السياسات الاستعمارية الى ترسيم الحدود بين دول القارة بشكل مصطنع يتنافر مع واقع الشعوب الأفريقية وخصوصياتها فكانت خطوط الحدود تفصل بين أبناء الجماعة الاثنية الواحدة مما أذى الى انقسام تلك الجماعات بين أكثر من دولة واجبارها على العيش داخل حدود مفروضة عليها مع جماعات اثنية اخرى متمايزة عنها فى المعتقد الديني واللغة والسمات البيولوجية مثال ذلك التوتسى تتوزع تتلك الجماعة بين كل من رواندا وبوروندي والكونغو الديموقراطية وأوغندا مما جعل منها مصدر لعدم الاستقرار فى الإقليم. وقد سعت الحكومات الإفريقية بعد الاستقلال الى تحقيق الاندماج الوطني بين الجماعات الاثنية المعقدة من أجل بناء الامة. لكن تلك السياسات الحكومية غلب عليها طابع التمييز القسري الاستبعادى فكانت الانظمة الحاكمة تغدق العطايا والمناصب على أبناء جماعاتها الاثنية على حساب الجماعات الاثنية الاخرى مع اتباع سياسة تقمع المعارضة وكان من نتاج هذه السياسات تعذر بناء الامة في معظم دول القارة مما اذى الى ظهور ازمات الانقلاب العسكري والتمردات المسلحة والتظاهرات وحروب العصابات وهكذا باتت الاثنية محفزا اساسيا لإثارة الصراعات والحروب الاهلية في (فرحات، ٢٠١٩)

ولقد كان من الصعب تطبيق مبادئي الديموقراطية الغربية على أرض الواقع الافريقي الذي يتميز بذلك التعدد الاثني والعرقي والقبلي فالعامل النفسي للنخبة الحاكمة هو السيطرة على كل القوى المجتمعية والفئات المكونة لها وهي لا تريد تقسيم السلطة

من مبدأ تعددي واشراك المجموعات الأخرى من منظور المعارضة لإضفاء مزيد من الشرعية داخل النظم السياسية الافريقية.

إن الدول الوطنية الناشئة فى افريقيا لم تجد الطريقة لوضع قنوات اتصال مع هذه البنية الاجتماعية المتعددة والمنقسمة. وقد خرجت عن السيطرة نتيجة فشل الانظمة فى التعامل مع الظاهرة الاثنية وعدم القدرة على ترويضها. كما قامت الانظمة الحاكمة المنتمية لجماعة اثنية معينة باستبعاد الفئات الأثنية الأخرى فى سياساتها المبنية على منطق التعصب المركزي المتمثل فى خدمة جماعة مقصودة دون غيرها مما خلق داخل الدولة الواحدة تصارعات بين الانتماء الوطني والانتماءات الفرعية. (سفيان، ٢٠١٧)

إن تجاهل النظام السياسي لمطالب جماعة اثنية أو عدم رغبة اعترافه بها او عجز مؤسسات النظام على استيعاب المطالب المتصاعدة بالحقوق المدنية والسياسية الأخرى وانتهاج سياسات التمييز بين مواطنيها والتفرقة بينهم على اساس اللغة أو الدين أو العرق من خلال التضييق عليهم فى العديد من المجالات خاصة فى سوق العمل والوظائف الحكومية ، أدى الى تشدد الجماعات المستبعدة ولجوئها الى وسائل غير شرعية للحصول على مطالبها بالقوة ولعل اشهر هذه النزاعات الاثنية الهوتو والتوتسى فى رواندا والذى امتد الى شرق الكونغو الديموقراطية (مخلوف، ٢٠٢١)

- المحور الثالث: نيجيريا بلد التعدد الاثني:

تقع نيجيريا، فلكيًا، بين خطيّ طول (٣-١٥)٠ شرقًا، وبين دائرتيّ عرض (٤-١٤)٠ شمالًا، وهي تشغلُ النهاية الشرقية من البروز الكائن بغرب أفريقيا. وأمّا عن حدودها السياسية، فتحدّها النيجر من الشمال والشمال الغربي، بينما تحُدّها تشاد من الشمال والشمال الشرقي. كما تشترك فى حدودها الشرقية مع الكاميرون، وتمتد بسواحلِها الجنوبية على خليج غينيا Gulf of Guinea، وتُطِل من الغرب على دولة بنين (أحمد أنور، ٢٠٢٣)

وتعد نيجيريا البلد الأول فى أفريقيا من حيث عدد السكان فحسب احصائية ٢٠٠٩، فقذ بلغ عدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة. (هابة خديجة، ٢٠٢١) وتتكون

نيجيريا من ستة وثلاثون ولاية مقسمة بين ستة أقاليم جغرافية كبرى هي اقليم الشمال الغربي ويتركز بها الهوسا والفولاني، أقليم شمال وسط خليط بين الهوسا واليوربا، أقليم شمال شرق وهو خليط من الهوسا وأثنيات أخرى وأقليم جنوب غرب وهو خليط من الايبو وأكثر من ثلاثين أقلية إثنية، أقليم الجنوب الشرقي وتسيطر عليه أثنية الايبو.(قولى، ٢٠٢٠)

(١) أبعاد التعددية فى نيجيريا:

يمكن الإشارة إلى أكثر من نوع من التعددية فى نيجيريا أولها:

أ- التعدد الاثني فى نيجيريا:

تعتبر نيجيريا من أكثر الدول الأفريقية من حيث التنوع الاثني، فالمجتمع النيجيري مجتمع قبلي فى الاساس فالقبيلة هي المركب الأساسي للمجتمع حيث توجد به أكثر من ٢٥٠ مجموعة اثنية و٥٠٠ لغة محلية يدين حوالي ٥٠ % منهم بالإسلام، اربعون بالمئة مسيحيون، و١٠% ديانات تقليدية. وتعتبر اللغة معيار للتصنيف الاثني فهناك ثلاث لغات هي الاكبر من حيث عدد المتحدثين بها وهي: الهوسا فولاني وهم يدينون بالإسلام، ثم اليوربا أكبر قبيلة بعد الهوسا والايبو تتركز فى الشرق وغالبيتهم من المسيحين (قولى، ٢٠٢٠)

وفيما يلي نبذة مختصرة عن كل أثنية كالاتي:

- **الهوسا فولاني:** توجد قبيلة الهوسا فى شمال نيجيريا وهي أكبر التجمعات النيجيرية عددا غالبيتهم مسلمين حوالي ثماني وتسعون بالمائة يتحدثون العربية يمارسون النشاط الزراعي ويستقرون فى المدن.
- **اليوربا:** هي ثاني أكبر القبائل النيجيرية عددا بعد الهوسا توجد فى الجنوب الغربي وتنقسم لعدة مجموعات لكل جماعة قائدها، يدينون بالبروتستانتية ومنهم مسلمين وهناك بعض الوثنيين.

- **الايبو:** هي ثالث القبائل عددا بعد الهوسا واليوربا تعيش فى الجنوب الشرقي النيجيري تحت وصاية قائد تقليدي واحذ تنتخبه الجماعة القبلية والايبو مجتمع قبلي لكل فرد مكانته الاجتماعية وتوجد فى منطقة الايبو أكبر الثروات النفطية النيجيرية ومعظم أفرادها يدينون بالكاثوليكية. (سفيان، ٢٠١٧)

ب-التعددية الثقافية في نيجيريا:

لا يقتصر تعقد البناء الاثني فى نيجيريا على التنوعات الفيزيقية بل تعود التعددية الاثنية بالأساس الى الاختلافات الثقافية. ويمكن رصد خمسة انماط ثقافية فى نيجيريا هي:

- الثقافة السودانية الاسلامية فى شمال نيجيريا حيث الهوسا فولاني
- الثقافة الغابية والساحلية فى الجنوب الشرقي حيث الايبو
- ثقافة مالك الغابات فى الجنوب الغربي حيث اليوربا
- ثقافة الرعاة وهي متناثرة فى البلاد
- ثقافة المجموعات الصغيرة الاقل تطورا على طول واذى نهري النيجر وبينوى وعلى طول الحدود الشرقية.

ج-التعددية اللغوية في نيجيريا:

اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية للتعليم وللحكومات الفيدرالية ولمعظم حكومات الولايات النيجيرية. لكن يوجد الى جوارها ما يزيد عن مائة لغة محلية. وتعذ الهوسا والفولاني أكبر جماعتين لغويتين فى شمال البلاد، فى حين تعد اليوربا والايبو أكبر جماعتين لغويتين فى جنوب البلاد.

هـ-التعددية الدينية في نيجيريا

يوجد بنيجيريا تنوع ديني فطبقا لتعداد ١٩٦٣ نجد ان ٤٧،٢ % من إجمالي سكان نيجيريا يدينون بالإسلام، ٣٤% يدينون بالمسيحية اما الباقي وهو ١٨% فهم يدينون بديانات تقليدية. وينتشر الاسلام بين سكان شمال نيجيريا بنسبة ٧٥%منهم مسلمون. (نصر الذين، ١٩٩٧)

(٢) الفيدرالية فى نيجيريا والإثنيات:

لجأت الحكومات الوطنية النيجيرية منذ الاستقلال عام ١٩٦٠ وحتى أواخر عام ١٩٩٧ إلى تبنى الشكل الفيدرالي للدولة كأداة لحل مشكلة الاندماج الوطني فى البلاد. وراحت تسعى إلى خلق توازن بين الأقاليم بعضها البعض من جانب وبين الأقاليم والحكومات المركزية من جانب اخر، ثم راحت تسعى الى تقوية نفوذ الحكومة المركزية فى مواجهة الاقاليم من جانب ثالث. (نصر الذين، ١٩٩٧)

وبذلك أنطلق النظام الفيدرالي فى نيجيريا مبنيا على الواقع القبلي بسبب قوة الولاءات القبلية عن الولاء للدولة. وقد نجح النظام الفيدرالي فى نيجيريا واوقف حروبا طاحنة كادت تأكل الأخضر واليابس بين القبائل المختلفة والديانات المتباينة. وكان من المفترض أن تكون الفيدرالية فى نيجيريا تمثل النظام الامثل لتحقيق التفاعل والتكامل السياسي وإدارة التنوع والصراعات الاثنية فيها على اعتبار أن الجمهورية الفيدرالية هي اتحاد بين عدد من التقسيمات الفرعية تحت مظلة الجمهورية وفيها تحتفظ الولايات بسلطة محلية منفصلة عن الحكومة المركزية. فهل نجحت الفيدرالية فى نيجيريا فى تحقيق ذلك الهدف وتخفيف الصراع بين الاثنيات انها تسببت فى تفجير الصراع بين الاثنيات الموجودة فيها؟ (بشير، ٢٠١١)

إن الطابع الفيدرالي الذي اعتمدته نيجيريا كان الهدف منه هو منع الهيمنة على الحكومة او مواردها من قبل مجموعة واحدة أو أقلية من الاشخاص وضمان حصول كل مجموعة على التمثيل الملائم. (مخلوف، ٢٠٢١)

ولقد برز تحدى أمام القادة الوطنيين حول كيفية توحيد المجتمع المتعدد الأعراق واللغات والثقافات والاديان. وكان التحدي الذي واجههم هو كيفية إيجاد صيغة لجمع كل هذه الاعراق فى امة واحدة وظلت مسألة بناء الدولة فى نيجيريا مسار جدل ونقاش عقودًا من الزمن على مستوى القادة والباحثين والاعلام. واستنادًا لدستور ١٩٥١منحت صلاحيات أوسع لإقامة الاقاليم وأصبح غرب نيجيريا وشرقها يتمتعان بالحكم الذاتي وكذا اقليمها الشرقي وحصلت نيجيريا على استقلالها من بريطانيا كاتحاد فيدرالي وبعدها منح الاقليم الرابع وسط غرب نيجيريا الحكم هو الاخر. وكان الهدف من اعتماد النظام الفيدرالي فى نيجيريا هو التخفيف من حدة التوترات الاقليمية ومحاولة ارضاء المجموعات الاثنية من الايبو فى الشرق واليوربا فى الغرب والهوسا فولاني فى الشمال. وبعد تسلم الجيش السلطة قسمت الاقاليم الاربعة الى ١٢ ولاية عام ١٩٦٧ الى ان اصبحت ٣٦ ولاية عام ١٩٩٩. تتكون كل ولاية من مناطق حكم ذات حكم محلى ولكل ولاية عاصمة خاصة بها بموجب الدستور الذي نص على أن نيجيريا دولة موحدة ذات سيادة لا تتجزأ ولا تنفصم تعرف باسم جمهورية نيجيريا الاتحادية. (سفيان، ٢٠١٧) لقد كانت الاقليمية هي الطابع المسيطر على الحياة السياسية طوال السنوات الاربع التي تلت استقلال نيجيريا فكل اقليم تسيطر عليه جماعة اثنية بعينها ولكل اقليم حكومته وجامعته وعقيدته ومصالحه السياسية والاقتصادية والثقافية. كما سيطر السياسيون ذوو الاتجاهات الاثنية والاقليمية على النظام السياسي وانتشر الفساد والرشوة والمحسوبية (نصر الذين، ١٩٩٧)

(٣) تأثير التعدد الاثني على الدولة فى نيجيريا:

كانت العلاقة بين الاثنيات النيجيرية تسودها الصراعات المستمرة ، اسرفت هذه الصراعات الدموية عن مقتل الاف الضحايا بسبب التنافس على السلطة او الاقتتال من اجل الحسابات الاقتصادية وقد عانت نيجيريا من ويلات الصراعات الاثنية المستمرة التي انهكت كاهل الدولة واضعفت النسيج الاجتماعي بشكل كبير واعاقت بناء دولة مدنية ديموقراطية بسبب العنف مثال ذلك الكراهية التي ميزت علاقة الهوسا واليوربا

والايبو والايجاو ، والمسلمين والمسيحين لانعدام الثقة بينهم كذلك اختلاف التركيبة الدينية فى المجتمع النيجيري كان أحد مثيرات التوتر فى الدولة . (هابة خديجة، ٢٠٢١)

وقد أدركت القيادة النيجيرية خطورة تداعيات النزاع الاثني على النظام الفيدرالي للبلاد. وقد كانت حرب بيافرا تجربة قاسية بالنسبة للنيجيريين كادت تذهب بنظام الدولة الفيدرالي. يتمثل ذلك فى انقلاب ١٩٦٦واستقلال الاقليم الجنوب الشرقي وتشكيل جمهورية بيافرا المستقلة. وكانت هذه الحركة الانفصالية ذات دوافع اثنية كلفت البلاد حربا دامت ثلاث سنوات راح ضحيتها ملايين القتلى والجرحى. وقد اختارت نيجيريا التعامل العسكري لإخضاع المتمردين بالعنف. كذلك الحال عام ١٩٩٨ عندما أعلنت الدولة حالة الطوارئ فى منطقة دلتا النيجر لاحتواء العنف الذي اثارته جماعة الايجاو الذين طالبوا بمزيد من الاستقلال المحلى (هابة خديجة، ٢٠٢١)

وكانت العلاقة بين الاقاليم الثلاثة تتميز بالمشاحنات وسيطرة من جانب اقليم الشمال على السلطة الفيدرالية باتباع سياسات تتميز تجاه ابناء الاقاليم الاخرى فيما يتعلق بالعمالة والعدالة وحقوق الملكية الخاصة والحقوق السياسية وقد شكا الجنوبيون مثلا كثير من محاكم الكالي فى الشمال والتي تطبق الشريعة الاسلامية. وقد كان للأقاليم بعض القدرات على فرض آرائها على الحكومة الفيدرالية مثال ذلك رفض حكومة الشمال الذي يشكل المسلمون فيه ٧٥% الاعتراف بإسرائيل تعاطفا مع الدول العربية وفى المقابل فإن كلا من الاقليم الغربي والشرقي قد ايد الاعتراف بإسرائيل وكان على صداقة معها وحصلا منها على مساعدات فنية وأرسلا طلابها للدراسة بإسرائيل. كما دخلت الاقاليم الثلاثة فى صراعات نتيجة تفضيلات الحكومة الفيدرالية فى توزيع الموارد والاستثمارات الفيدرالية على الاقاليم الثلاثة فى مجال انشاء الطرق والتعليم والتنمية عموما خاصة فيما يتعلق بإنشاء سد كاينجى فى الشمال. (نصر الذين، ١٩٩٧)

ولقد ادت التعددية الاثنية فى نيجيريا الى تدمير الحياة الاجتماعية لما سببته من نزاعات وانقسامات فى المجتمع وتعتبر الزيادة فى اعمال العنف خاصة مع بروز الحركات الدينية المسلحة مثل جماعة بوكو حرام عائقا أمام التقدم الاجتماعي فمثلا لا يستطيع أفراد من اثنية اليوربا والايبو المسيحية العيش فى المشال ذو الاغلبية المسلمة مما قلل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وادخل المجتمع دوامة العنف أضف الى ذلك انتشار العنف والبطالة. (مخلوف، ٢٠٢١)

وهكذا لم يكن التعدد الاثني يمثل ثراء للدولة الناشئة فى نيجيريا فقد ظهرت مع هذا التعدد الولاءات الفرعية على حساب الولاءات الوطنية وقد استغل القادة السياسيين والعسكريين هذه التعقيدات المجتمعية والتباعد الاثني من اجل خدمة مصالحهم الضيقة وتحقيق مصالح سياسية ومادية وأصبح المواطنون يعيشون الفقر والبطالة والحرمان والاقصاء والامية وهى قضايا حولت نيجيريا الى دولة غير امنة مع عجز الطبقة السياسية عن إيجاد برامج تنموية تستثمر فى الموارد المتاحة لتحسين مستوى معيشة المواطنين مما خلف ازمة شرعية للسلطات التي تحكم البلاد

ويعتبر هذا التعدد الاثني من أهم مشكلات الاندماج الوطني فى نيجيريا حيث أصبح هناك تنافس بين الجماعات الاثنية الثلاث الكبرى "الهوسا، الايبو، اليوربا" على الكعكة الوطنية فلقد وجدت الولاءات الاثنية والاقليمية مزيدا من التدعيم لها حينما راحت النخبة الاقليمية تلوح بتوزيع الموارد الوطنية والوظائف على مؤيديها فى كل اقليم وقد أدى ذلك الى اشعال التنافس بين كافة الجماعات. فقد تنافس كل من الايبو واليوربا مع الهوسا فى الشمال فى ميادين التجارة والنقل والخدمة المدنية والشركات العامة والمصالح الاجنبية. كما كانت لهذه العوامل الاجتماعية انعكاسات سلبية على الجيش النيجيري فقبل وقوع الانقلاب العسكري الاول كان أكثر من نصف ضباط الجيش النيجيري من ابناء الايبو فى حين أن غالبية الجنود كانت من الاقليم الشمالي. وقد شكلت هذه الغالبية العددية لضباط الايبو فى الجيش عاملا اضافيا للتوتر بين الاقاليم كان له انعكاسه فى الانقلاب العسكري الاول وفى الحرب الاهلية خاصة.

وهكذا نجد ان الاثنية والتعددية والاقليمية كانت مسيطرة على النظام الفيدرالي فى نيجيريا وكانت سببا من اسباب صعوبة الاندماج الوطني فيها. فالتجربة النيجيرية اثبتت ان الفيدرالية كشكل للدولة لم تطبق فعليًا إلا فى فترة لم تتجاوز العشر سنوات منذ استقلال نيجيريا أما طول الفترة المتبقية فقد خضعت نيجيريا لحكم عسكري يصعب معه القول بالتطبيق الفيدرالي. (نصر الدين، ١٩٩٧)

(٤) حقيقة الفيدرالية فى نيجيريا بين الواقع والتطبيق:

نيجيريا اليوم يمثل مبدأ الطابع الفيدرالي وتخصيص وتناوب مواقف الاحزاب السياسية بين المناطق الجغرافية العرقية " تقسيم المناطق" وانشاء حكومات ائتلافية مشتركة بين الاحزاب بعض الطرق التي سعت لها النخب السياسية فى نيجيريا لإضفاء الطابع المؤسسي على السلطة وتقاسم استراتيجيات فى السياق النيجيري. ومع ذلك، فإن هذه الاستراتيجيات غالبا ما يتم تشويهها أو احباطها بسبب الطموحات المهيمنة التي تتمتع بها غالبية الاعراق والعيوب والتناقضات فى الاحكام الدستورية المتعلقة بتقاسم السلطة، والعيوب الكامنة فى التكوين الإقليمي للاتحاد. على سبيل المثال ترتيبات تقسيم المناطق فى الاحزاب السياسية تعمل فى بعض الاحيان وهذا لإضفاء الشرعية أو إعادة انتاج هيمنة مجموعات الاغلبية كان هذا هو الحال بشكل خاص فى الجمهورية الثانية عندما قام الحزب الوطني الحاكم فى نيجيريا بتقسيم المناطق الرئيسية الثلاثة للمرشح الرئاسي ومرشح نائب الرئيس ورئيس الحزب الى الهوسا فولاني وايبو ويوربا على التوالي. وعلى نفس المنوال بعيدا عن حقيقة المبدأ الدستوري للطابع الفيدرالي أو التمثيل العرقي الواسع فى سلوك الهيئات العامة وتكوينها، تميل النخب الحاكمة على جميع مستويات السلطة العامة فى نيجيريا الى توزيع الموارد والفرص لصالح عملائهم الطائفيين أو السياسيين. على المستوى الوطني يعنى هذا الانتهاك تهميش طوائف الاقليات من قبل مصالح الاغلبية المسيطرة فى الحكومة الفيدرالية. وقد أدى التهميش والتمييز الى اشعال الفتن والانقسامات العرقية أكثر مما كانت عليه. ولذا يقال ان نظام الدولة فى نيجيريا فى خطر كما هو الحال فى الكثير من الدول الأفريقية

وهذا ما يثير غضب واعتراضات بقية الاعراق الاخرى وبالتالي تتنافس المجموعات العرقية والدينية على الهيمنة السياسية فى البلاد وهذا ما يضعف اساس أي وحدة وطنية فى أفريقيا. (خير الدين، ٢٠٢٠)

- الخلاصة:

١- تنتج العرقية فى الحياة اليومية أثناء التفاعل اليومي وهي محل دراسة الاثنوجرافيا خاصة والانثروبولوجيا عامة

٢- أن الواقع الأفريقي واقع غير متجانس يتميز بالتعدد فى كل أشكاله، العرقي والديني والثقافي واللغوي.

٣- أنه كانت هناك محاولات فى كثير من الدول الأفريقية لبناء الدولة وتحقيق الاندماج الوطني بعد الاستقلال عن الاستعمار لكنها لم تعدو أكثر من كونها كيانات سطحية تسيطر عليها القبلية والاثنية.

٤- أن النظام الفيدرالي الذي يقوم على اتحاذ بين جماعات اثنية او مقاطعات كان من أكثر النظم المطبقة فى افريقيا لكنه لم يلق النجاح الكامل.

٥- أن نيجيريا هي نموذج على التعدد العرقي والثقافي واللغوي والديني فى أفريقيا

٦- حاولت نيجيريا تطبيق النظام الفيدرالي الا انه لم ينجح ايضا بسبب الولاءات المسيطرة للقبيلة والعشيرة على حساب الدولة.

٧- ان على الانثروبولوجيا ان تراعى عندما تدرس الواقع الإفريقي المتعدد ان تذرك هذه المفاهيم الجديدة مثل الفيدرالية.

- قائمة المراجع:

- أحمد أنور. (٢٠٢٣) أثر خطاب ما بعد الحداثة على الدين: دراسة حالة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية لجماعة بوكو حرام النيجيرية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القاهرة. كلية الدراسات الافريقية العليا.
- أبو العينين، محمود (٢٠٠٠) إدارة الصراعات العرقية فى أفريقيا. نشرة الدراسات الافريقية. معهد البحوث والدراسات الافريقية. جامعة القاهرة.
- بشير، شايب. (٢٠١١) مستقبل الدولة الفيدرالية فى أفريقيا فى ظل صراع الاقليات نيجيريا نموذجا. على www.searchmandumah.com
- خلفون، فضيلة وفيصل خميلة. (٢٠١٧) تداعيات النزاع الاثني على الدولة الفيدرالية فى افريقيا –نيجيريا نموذجا، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، (٤) على www.asjp.cerist.dz
- خير الدين، بوهدة. (٢٠٢٠) واقع التعدد العرقي وأثره فى بناء الدولة فى أفريقيا. مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية(١) على www.asjp.cerist.dz
- سفيان، داسى (٢٠١٧) دراسة فى التعقيدات الاثنية واشكالية بناء الدولة فى نيجيريا. على www.qirratafrican.com
- قولى، كريم. (٢٠٢٠) . النزاعات الاثنية واشكالية بناء الدولة فى افريقيا، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعي. (١). على www.asjp.cerist.dz
- مخلوف، رملي. (٢٠٢١) ظاهرة النزاعات الاثنية وتداعياتها على مسألة بناء الدولة فى افريقيا: نيجيريا الفيدرالية نموذجا. مجلة التواصل. (٢٧)
- هابة، خديجة. (٢٠٢١) التنوع الاثني وتأثيره على مسألة البناء الوطني فى نيجيريا، مجلة الباحث فى العلوم الانسانية والاجتماعية(١٣) على www.asjp.cerist.dz
- نصر الدين، ابراهيم (١٩٩٧) الاندماج الوطني فى أفريقيا. نموذج نيجيريا. مركز دراسات المستقبل. القاهرة.

- المواقع الالكترونية

- www.pharostudies.com
- www.earabi.com